

السعودية ومواجهة ايران في منطقة الشرق الاوسط

عباس عاصي

لم يشهد التاريخ الحديث صراعا في منطقة الشرق الاوسط ان قسمها الى قسمين مثل الصراع الايراني السعودي. هذا التناقض على النفوذ والهيمنة رافقته وساندته سياسات متعددة ومتعددة امتدت من خطاب طائفى تحريري الى خطاب وطنى وقومى عربى. تنوّع استراتيجيات السعودية في المواجهة مع ايران. فحين تقتضي الحاجة تستخدم خطاً با طائفياً واحياناً اخرى خطاً با قومياً عربياً. بعيداً عن مسببات هذا الصراع، هذا التنوع والارتباك في اساليب المواجهة يدل على ضعف في قدرة السعودية على مواجهة خصومها وفرض هيمنتها على المنطقة.

تسعى الدول عادة الى تحسين شروط المواجهة مع خصومها من خلال تحسين قدراتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية لا من خلال التحرير المذهبى. ذلك ان الخطاب المذهبى قد يرتد سلباً عليها. فعندما تلجأ دولة ما الى الخطاب المذهبى فهي تمد الجماعات المتشددة بالحجج والامكانيات كي توسع من قاعدتها الشعبية. هذه الجماعات كما اصبح معلوماً لن تقبل بأى تراجع للدولة عن مواقفها المتشددة والا سوف تعتبر مرتدة ومخالفة لمبادئها. مما قد يدفع هذه الجماعات الى ان تعاديها وقد تلجأ الى العنف بغية استبدالها او دفعها للعودة الى مواقفها السابقة.

يمكن لنا ان نميز ثلاثة استراتيجيات اعتمدتتها السعودية في سبيل مواجهة ايران في المنطقة. الاستراتيجية الاولى هي الخطاب المذهبى الطائفى وهو الخطاب الطاغي على السياسة والاعلام السعودي. هذا الخطاب يوظف لغة طائفية عبر محاكاة الغرائز بغية استقطاب الشارع السنى واضفاء شرعية شعبية على نظام الحكم. استخدم هذا الخطاب بشكل كبير منذ قيام نظام الحكم في ايران عام 1978. سوف يزداد استخدام هذا الخطاب حدة في المستقبل القريب وذلك بسبب صعود الجيل الثاني والثالث للحكم من العائلة الحاكمة والذي يسعى الى شرعية شعبية تعزز حكمه وموقعه. وذلك بسبب الصراع الدائر اليوم في اروقة الحكم السعودي بين ابناء واحفاد الملك السعودى الراحل عبد العزيز آل سعود.

الاستراتيجية الثانية هي الخطاب القائم على تحرير ابناء الوطن الواحد على بعضهم كي تصطف حلفاء ايران داخل هذه الدول. استخدمت هذه الاستراتيجية بشكل واضح وعلني في لبنان. بعد اغتيال رفيق

الحريري عام 2005 وانسحاب القوات السورية سعى الرياض الى اضعاف حزب الله، حليف ايران في لبنان. مثلاً موّلت الانتخابات النيابية اللبنانية عام 2009 بحوالي مليار دولار حسب ما ذكرت جريدة النيويورك تايمز لضمان فوز قوى 14 اذار الحليفة وهزيمة حزب الله وحلفائه. على الرغم من ذلك فاز حزب الله في الانتخابات النيابية ودخل الحكومة وحصل على الثالث الضامن فيها. هذه الاستراتيجية ساهمت في تأجيج الصراع الداخلي اللبناني وتتوسيع الشخ بين السنة والشيعة، وهذا الامر ينطبق ايضاً على الصراع الدائر في العراق بين السنة والشيعة.

الاستراتيجية الثالثة هي استخدام الخطاب القومي العربي. استخدم هذا الخطاب خلال فترة المواجهة مع ايران منذ العام 1978 بنسب متفاوتة. لم تعتمد السعودية على هذا الخطاب الا قليلاً. وقد يعود ذلك الى وجود دول تخاصمها في المنطقة اي النظام السوري والعراقي والتي تحمل خطاباً عروبياً قومياً. الا ان انهيار النظام العراقي ونشوب الحرب السورية امّن للسعودية المساحة الكافية لاستخدام هذا الخطاب خصوصاً مع غياب اي طرف عربي اخر يحمل هذا المشروع. المفارقة ان الحكم السعودي عُرف تاريخياً بعدائه لتوجهات عبد الناصر العروبية وكان من دعاة الوحدة الاسلامية لمواجهة المد العربي الناصري.

استخدم الخطاب القومي العربي من قبل السعودية ايضاً في حربها على اليمن. فقد دخل اديبيات السياسة الخارجية السعودية بشكل غير مسبوق. بررت الرياض الحرب على اليمن بحجة حماية عروبته ومنع التمدد الفارسي علماً ان الحرب السعودية لها اسباب خارجية وداخلية ايضاً. فلا يمكن فهم اسبابها من دون قراءة الصراع الدائر حالياً بين الابناء والاحفاد على سدة الحكم والذي يسعى كل واحد منهم للشرعية والشعبية وابراز نفسه كرجل دولة وقائد عسكري قادر على ادارة شؤون المملكة.

المفارقة ان السعودية لم تنجح في منع تمدد نفوذ ايران في المنطقة او العالم على الرغم من الاموال التي صرفتها بغية تحقيق هدفها. فـإيران استطاعت ان تحرز تقدماً في مفاوضات ملفها النووي. واما الارهاب والتهديل من المد الايراني لم يمنع طهران من تعزيز نفوذها وفي المقابل لم يعزز من نفوذ السعودية في المنطقة.

في العراق مثلاً استطاعت ايران ان تتدخل عسكرياً بعد ان دعمت السعودية ولو ضئيلاً احتلال داعش لمناطق واسعة من البلاد. في سوريا استعان النظام بمستشارين ايرانيين لمواجهة المعارضة المسلحة المدعومة من السعودية ودول عربية واجنبية اخرى. بمعنى اخر تدهور الدور الاقليمي للسعودية اعطى لها اتساعاً وحرية اكبر لإيران لتعزيز نفوذها.

ان صغر الرؤية السياسية والصراع السياسي الداخلي السعودي ساهمما في اضعاف دورها الاقليمي وتقويقها خلف خطاب مذهبی خسرت بسببه شعبيتها لدى شريحة واسعة من العرب. مثلاً الحرب على اليمن التي شنت تحت ذريعة منع التمدد الايراني كلفت السعودية مليارات الدولارات واضعفت من موقفها الاقليمي والدولي بسبب الجرائم التي ارتكبتها ناهيك عن المجازر والدمار الذي سببته بحق الشعب اليمني المظلوم.

